

أضواء البيان

@ 55 وعاد ، وثمود ، وأصحاب الرس ، والقرون الكثيرة بين ذلك : أنه ضرب لكل منهم الأمثال ليبين لهم الحق بضرب المثل ؛ لأنه يصير به المعقول كالمحسوس ، وأنه جلّ وعلا تبّر كلاّ منهم تتبيرا ، أي : أهلكهم جميعا إهلاكا مستأصلا ، والتبّير الإهلاك والتكسير ، ومنه قوله تعالى : { وَلَيُتَّبِعَرُّوا مَّا عَلَاوُا تَتَّبِعِرَّا } ، وقوله تعالى : { إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعَرُّ مَّا هُمْ فِيهِ } ، أي : باطل ، وقوله تعالى : { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } ، أي : هلاكًا ، وهذان الأمران المذكوران في هذه الآية الكريمة ، وهما أنه جلّ وعلا ضرب لكل منهم الأمثال ، وأنه تبرهم كلهم تتبيرا جاءا مذكورين في غير هذا الموضع .

أما ضربه الأمثال للكفار ، فقد ذكره جلّ وعلا في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى في سورة (إبراهيم) : { أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مَّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمُ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْآمِثَالَ } . وأمّا تبّيره جميع الأمم لتكذيبها رسلها ، فقد جاء موضحا في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى في سورة (الأعراف) : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَيْدِي سَاءَ وَالضَّرَّاءَ لَعَلَّهُمْ يَضُّرَّوْا * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } ، وقوله تعالى في سورة (سبأ) : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } ، وقوله في (الزخرف) : { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ وَجْهِ الضَّلَالَةِ } ، وقوله تعالى : { ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتَتْ بِعَدُنَا بَعْدَهُمْ بِعُضَاءٍ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ } ، إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على أن جميع الأمم كذبوا رسلهم ، وأن اللّٰه أهلكهم بسبب ذلك ، وقد بيّن جلّ وعلا في آية أخرى أن هذا العموم لم يخرج منه إلا قوم يونس غيرهم ، وذلك في قوله تعالى : { فَلَاوُلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنْتْ فَنفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَزَابَ الْخَرِي فِي الْحَيَاةِ

الدُّزِّيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ . . {

ويدلّ على ذلك أيضًا قوله تعالى : { وَأَرْسَلْنَا * إِلَي مِيَاثَةِ أَلْفٍ أُوْ
يَزِيدُونَ فَتَأْمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ * إِلَي حِينٍ } ، وما ذكره جلّ وعلا في هذه
الآية الكريمة من أنه ضرب الأمثال لكل منهم ، لم يبيّن فيه هنا هل ضرب الأمثال أيضًا لهذه
الأمّة الكريمة التي هي آخر الأمم في هذا القرآن ، كما ضربها لغيرهم من الأمم ، ولكنه
تعالى بيّن في آيات كثيرة أنه